

The Manifestations of “Arab cultural Presence” in the Poetry of Persian Poets, According to the French School (Pessimism to the Owl, for Example)

Mohammad Hassan Amraei*

Assistant Professor, Department of Arabic, State University, Iranshahr, Iran

(Received: December 26, 2019; Accepted: August 27, 2019)

Abstract

It was said in the literary, historical and religious texts of ancient Iran that the owl was a blessed bird loved by them. It was said that a large part of the Zoroastrian Avesta was singing on his tongue; so that when he was reading this owl (Avesta) the demons and the Ahrman fled from his annoying cry, For fear of it. The Arabs considered the owl to be an ominous bird in general, absolute, as it suggests misery, misery and death, according to their intellectual and cultural resources. This pessimistic view was gradually leaked to the Persian, and was rooted in the perspective of the optimistic Persians and the writers and poets until they replaced them. The Persian literature and the Iranian poets' literature remained only a small fraction of that usual optimism. After Islam entered Iran in the Sassanian days and their beliefs in the Persian society, In this study, we seek to shed light on the influence of the culture of the pre-Islamic Arabs on the Persian poets in pessimism based on the theoretical principles of the French school in comparative literature as we try to show the motives of pessimism in the Persian literature influenced by the Arabs of pre-Islamic. One of the most important findings of this study is that the pope has an optimistic view of the ancient Persians, so that they attributed it to the blessed asceticism and sanctified the sanctification of the gods and raised it to the level of sanctification and worship. But this bird lost its positive face in the Persian literature gradually during the fifth and sixth centuries AH and beyond influenced by the Arabs of the pre-Islamic. We now do not see the optimistic spirit that is required to be present in the Iranian writers and poets except in some very rare cases we often meet negative images of the face of the owl completely.

Keywords

pessimism to the owl, Persian literature, ancient Iran, Arabic literature, ignorant culture, superstition.

* **Corresponding Author, Email:** m.amraei@velayat.ac.ir

تجليات الحضور الثقافي العربي في شعر الشعراء الفرس وفقاً للمدرسة الفرنسية (التشاؤم باليوم أنموذجاً)

محمدحسن أمراي*

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، إيرانشهر، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١٢/٢٦؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٨/٢٧)

الملخص

لقد ورد في النصوص الأدبية والتاريخية والدينية لإيران القديمة بأن اليوم كان طائراً مباركاً محبوباً لديهم، فقتل عنه: إنَّ جزءاً كبيراً من الأفيستا الزرادشتي أنشد على لسانه؛ بحيث عندما كان يقرأ اليوم هذا الكتاب (الأفيستا) يهرب الشياطين والأهرمان من صرخته المزعجة فيفرون إلى الصحاري القفرة خوفاً منه. أما العرب فقد اعتبرت اليوم طائراً مشؤوماً بصورة عامّة مطلقاً إذ إنّه يوحي عندهم البؤس والتعاسة والموت وفق مخزونهم الفكري والثقافي. هذه النظرة التشاؤمية تسربت شيئاً فشيئاً إلى الفارسية، وترسخت في وجهة نظر الفرس التفاضلية وسيما الأدباء والشعراء منهم إلى أن حلت محلها ولم تبق في الأدب الفارسي ودواوين الشعراء الإيرانيين سوى نزر يسير من ذلك التفاضل المعهود وهو بعد أن دخل الإسلام إيران في أيام الساسانيين وعمت ثقافة العرب ومعتقداتهم لدى المجتمع الفارسي. من هذا المنطلق، نسعى في هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثير ثقافة العرب الجاهليين على شعراء الفارسية في التشاؤم باليوم مرتكزاً على المبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن؛ حيث تؤكد على تاريخ الأدب ومصادره ومواضيعه ومواده الأدبية التي تنتقل داخل الأدب القومي وبين الآداب القومية بصورة يمكن دراستها وتتبعها بالوثائق والأدلة. ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة أنّ الثقافة الجاهلية المتشائمة تجاه اليوم تركت أظلالها على الشعراء الفرس، إذ إنّ هناك لليوم رؤية تفاؤلية لدى الفرس القدماء؛ بحيث كانوا ينسبونهم للإيزدان المباركة ويقدمونه تقديس الآلهات وقد ارتفعوا به إلى درجة التقديس والعبادة؛ ولكن هذا الطائر افتقد وجهه الإيجابي في الأدب الفارسي شيئاً فشيئاً خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين وما بعدهما متأثراً بالعرب الجاهليين. ونحن حالياً لم نعد نرى تلك الروح التفاؤلية التي تلتزم أن تتواجد لدى الأدباء والشعراء الإيرانيين إلا في بعض الحالات النادرة جداً فكثيراً ما نلتقي بصور سلبية لوجه اليوم تماماً.

الكلمات الرئيسية

التشاؤم باليوم، الأدب الفارسي، إيران القديمة، الأدب العربي، الثقافة الجاهلية، الخرافة.

مقدمة

نجزم القول ونبرم الحكم بأن اليوم كان طائراً مباركاً لدى الفرس الساسانيين وفقاً لما ورد في النصوص الدينية والتاريخية لإيران القديمة (روباني، ٢٠١٢: ١٥٠)، فكانوا ينسبونه إلى آلهاتهم المحببة ويتفاءلون برؤيته؛ إلا أنهم استثنوا نوعاً واحداً من أكبر الأبوام واعتبروه طائراً من فصيلة الشياطين كما جعلوه في فصيلة مسمّاة بـ"الذئاب الخاطفة" (كرك سردگان) لزيادة شراسته في القتال واصطياده الطيور الصغيرة الأخرى (روباني، ٢٠١٢: ١٥١؛ غريمال، ١٣٧٨: ١٢٥)؛ أما العرب فقد أضفت على اليوم سمة تشاؤمية عامة ومطلقة إذ اعتقدت بأنّه يوحي البؤس والتعاسة والموت وفق مخزونها الفكري والثقافي (المسعودي، ١٤٠٩: ج١٣٢/٢). ربّما ترجع جذور هذا التشاؤم إلى معتقدات المجتمعات التقليديّة بما فيها من الأوهام والخرافات، فترة ما قبل الإسلام؛ حيث إنّ الأساطير الشعبيّة والخرافات الموروثة كانت ظاهرة لا تتجزأ منها العقليّة الجاهليّة نظراً لأنخفاض مستواها الفكري بصورة عامة. لقد استولت هذه النظرة السلبيّة للعرب تجاه كائن اليوم على وجهة نظر الفرس الإيجابية رويداً رويداً إلى أن حلّت محلّها ولم تبق في الأدب الشعبي ودواوين شعراء الفارسية سوى قليل من ذلك التفاؤل المألوف والمعهود وذلك بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية ودخول الإسلام إيران، فمن ثمّ عمّت ثقافة العرب ومعتقداتهم لدى المجتمع الفارسي.

هذا المقال وفقاً للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن سوف يحاول دراسة التشاؤم باليوم وتداعياته المنعكسة في الأدب الفارسي متأثراً بالعرب الجاهليين ومعتقداتهم الموروثة جيلاً عن جيلٍ.

أسئلة البحث:

هذا المقال سوف يحاول للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. كيف انعكست صورة اليوم في كل من الثقافتين الفارسية القديمة والعربية الجاهلية؟
٢. ما هو تأثير الثقافة العربية الجاهلية على الأدباء الفرس في مجال التشاؤم باليوم؟
٣. ما هي تداعيات التشاؤم باليوم ومؤشراته الرئيسيّة في الأدب الفارسي متأثراً بالمجتمع العربي؟

منهج البحث:

لقد تكوّنت هذه الدراسة من المنهجين الوصفي والتحليلي في تحليل مضمون النصوص الأدبية، فالمنهج الإستقرائي في اختيار الشعراء المدروسين في المقال هذا. كما تركّز على المبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن التي انتشرت انتشاراً واسع النطاق في أقاليم فرنسا وأوروبا على امتداد القرن التاسع عشر (الخطيب، ١٩٩٢: ٣٢-٥٥). يتّضح أنّ أصحاب هذه المدرسة قد حصروا الأدب المقارن ومجالاته النظرية في دراسة العلاقة بين أدب قومي معيّن وأدب قومي أو مجموعة من الآداب القومية. إذن فالهدف الذي كانوا يسعون إلى تحقيقه هو استقصاء ظواهر التأثير والتأثر بين الآداب القومية المقارنة (هلال، ١٩٧٨: ٦). يرى أعوان هذه النزعة أنّ انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو علاقة تاريخية قائمة على السببية، وهذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدل، أي أن يبيّن مصدر التأثير وواسطته ونتائجه (عبود، ١٩٩٩: ٢٦).

هذا ودراسة التأثير والتأثر في العالم العربي تتمحور على محورين رئيسين: فالمحور الأول يركز على تأثير الأدب العربي في الآداب الشرقية وتأثره بها. وفي مقدمة تلك الآداب الأدبان: الفارسي والتركي. أما المحور الثاني فهو يركز على تأثر الأدب العربي بالآداب الأوروبية والغربية (عبود، ١٩٩٩: ٣٥). فمن هذا، يهدف المقال إلى تجلية تأثر الشعراء الفرس الإيرانيين بالعرب الجاهليين وفقاً للمبادئ النظرية للمدرسة الفرنسية في الأدب المقارن. وأخيراً قدّمنا خاتمة شاملة للدراسة التي تبين صفوة ما حصلنا عليه من النتائج، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

خلفية البحث:

يمكننا القول بأنّ الدراسات حول اليوم قليلة جداً. نظمت غادة السمان الشاعرة والأديبة السورية المعاصرة ديواناً شعرياً أطلقته عليه عنوان: «الرقص مع اليوم»، حيث ألقت فيه رؤية تفاؤلية على اليوم. وكتبت الطالبة الإيرانية، طيبه كلستاني حتكني، أطروحة في مرحلة الماجستير باللغة الفارسية، معنونة بـ«نمادشناسي حيوانات كليله ودمنه بر مبنای اساطير هند و ایران» وتطرقت في إحدى فصولها إلى رمزية اليوم في الأساطير الهندية والإيرانية. طرح وحيد روياني أيضاً بحثاً قيماً، عنوانه: «بررسي تطبيقي جاگه جغد در ادبيات فارسي وعربي»؛ هذا المقال درس كائن اليوم بين الأدبين الفارسي والعربي بصورة مقارنة؛ حيث

قدم معلومات رائعة عن هذا الطير ومكانته الأدبية بين الأدبين الفارسي والعربي. ونحن راجعنا إلى هذا المقال الرائع واستندنا إليه في لمحات قليلة من بحثنا؛ حيثما لاحظنا أنه سيحتمل أن يكون مفيداً في تحقيق أهدافنا وإغناء مقالنا الأكثر؛ اللهم إلا أنه ما تطرق إلى أية علاقة تربط بالتأثير والتأثر التاريخي السائد في مجال التشاؤم باليوم. وفي السياق ذاته، هناك بحوث أخرى متناثرة على المواقع الإلكترونية ولا يتعدى حجمها في كل منها عن بضعة أسطر قليلة أو صفحة أو صفحتين، نخص منها بالذكر: «طائر البومة في الاسلام نذير شؤم أم فال خير؟»، «سر التشاؤم من البومة والغراب وأشياء أخرى»، «ما سبب التشائم من طائر اليوم؟»، ...

إذن فامتداداً لهذه البحوث، نحن درسنا في هذا المقال تجليات «الحضور الثقلي العربي في شعر الشعراء الفرس، التشاؤم باليوم أنموذجاً».

ومما يلفت اللانتباه أن هذا المقال تطرّق إلى التأثير التاريخي للثقافة العربية الأولى الجاهلية عامة على الشعراء الفرس وأهم مجالات هذا التأثير المتفشية بينهم متضمناً النماذج الشعرية التي تدلّ على هذا التأثير بصورة نموذجية واستقرائية إذ لا يمكن دراسة جميع الشعراء في هذا الوجيز.

صورة اليوم في إيران القديمة

إنّ اليوم لقد كان طائراً مباركاً لدى الإيرانيين القدماء في الإمبراطورية الساسانية وفقاً لما ذكرته النصوص التاريخية والدينية للفارسية القديمة مثلما كنا نراه حالياً لدى الأوروبيين والهنود (البطاوي: ٢٠٠٨: ١٧٢). لقد ورد هذا الطير في النصوص الدينية والتاريخية لإيران القديمة بأسماء عدة منها: «بوف»، «زوربرك»، «بُش»، «بهمن مرغ»، و«اشو زُشت» (الجاحظ، ١٩٦٩: ١٣٥). قد ذكر في كتاب "بدهش" «أنّ هذا الطائر الذي يسمونه «زوربرك» و«مرغ بهمن» لقد عدّه الفرس القدامى طائراً مقدساً، وقيل عنه: إنّ جزءاً كبيراً من الأفيستا (كتاب الزرادشتية) أنشِدَ على لسانه وهذا الطير عندما كان يقرأ كتاب الأفيستا يهرب الأهرمان والشياطين من صرخته المروّعة فيلجأون إلى السباب المقتفرة خوفاً منه؛ فلأجل ذلك التجأ اليوم إلى الصحاري والمنازل المهجورة وسكن فيها لئلا ينزل الشياطين والموجودات الأهرمنية فيها وفقاً لما ذكر في الفارسي البهلوي (فرنغ دادگي، ١٣٩٥: ١١٢؛ نقل عن روياني، ٢٠١٢: ١٥٢). بالتوازي مع هذا، إنّ الأسماء التي أطلقت على هذا الطير، تعتبر

مقدسة ومباركة في الغالب الأعم، نخصّ منها بالذكر: «أشو زُشت» الذي يعدُّ مركباً من جزئين، الجزء الأول: «أشو» أخذ من «اشه» بمعنى النقاء والورع والجزء الثاني مأخوذ من «زُشت» بمعنى العشق والحبّ وكذلك «بهمن مرغ» (دجاجة بهمن)، وهو اسم مبارك كذلك، سُمِّي بهذا الاسم؛ لأنه أول من خلقه أهورامزدا وهو رمز للأفكار الحسنة وحكمة الله تعالى التي تنفع الإنسان عقلاً وتديراً» (رويانى، ٢٠١٢: ١٥٢).

كما أشرنا إليه آنفاً، إنَّ اليوم كالكثير من الثقافات الهند والأوروبية كان طائراً مباركاً لدى الإيرانيين القدامى في الدولة الساسانية، وكانوا ينسبونهُ إلى الآلهة المقدسة (ايزدان) عادة كما كانوا يعتبرون رؤيته فاتحة للخير والتفاؤل باستثناء نوع واحد من أضخم هذه الطيور وهو بالفارسية يسمّى (بوف) أو (شاه بوم) الذي كان يصيد الطيور الصغيرة الأخرى؛ فذلك كانوا يعتبرونه طائراً مشؤوماً في بلاد فارس القديمة نظراً لاصطياده الطيور الأخرى وازدياد شرارته (رويانى، ٢٠١٢: ١٥٠)؛ ولكن اليوم كان طيراً أهرمياً شريراً لدى العرب الجاهليين عامة، بحيث لا تحمد عقباه أبداً وهو رسول الموت والبؤس والهلاك لديهم وكانوا يضربون به المثل في الدمار والهلاك والموت.

مع أن دخول الإسلام والعرب المسلمين في إيران القديمة ترك أعظم الآثار علمياً وحضارياً وأخلاقياً ولكن امتزاج ثقافتهم بثقافة الفرس الساسانيين سبّب تفشي معتقدات العرب القدامى ومخزونهم الفكري والثقافي بين المدنيين الإيرانيين وسيما الشعراء والكتاب منهم؛ فبالتالي حلت أنواع من السلوكيات والتصرفات المتشائمة الجاهلية محل الرؤى الإيجابية الفارسية.

ثقافة التطير والتشاؤم وانعكاسهما في المجتمع العربي

التطير في اللغة: التشاؤم، وهو توقع حصول الشر. وقد سُمِّي تطيراً؛ لأنَّ العرب - ولا الفرس - كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمرٍ قصد عشا طائر فيهيجه، فإذا طار من اليمين تيمّن به ومضى في الأمر، ويسمونه: "السانح". أما إذا طار من اليسار فتشائم به، وكانوا يسمونه "البارح" (مكاوي، ٢٠١٨: ٢٨).

مما يسترعي الانتباه أنّ دائرة التطير عند العرب في الجاهلية كانت واسعة لا تكاد تضبط بأشياء محددة لكثرة ما يتطيرون به. وزعموا أن قبيلة لهب هي التي كانت تخبرهم بزجر الطير وفيهم يقول الشاعر:

خَبِيرٌ بَنُو لِهَبٍ فَلَا تَكُ مَلْفِيًّا مَقَالَةَ لِهَبِي إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتْ
(البغدادي، ١٩٩٧: ٥٤٧/٩)

أي: إن بني لهب يعلمون زجر الطير وما تدل عليه تفاعلاً وتشاؤماً، فإذا أخبرك لهب بشيء من ذلك فصدقه ولا تلغ قوله (الأنصاري، لا تا: ج ١٨٦/١). وهذا من أوهام الجاهلية ووساوسها وقد أبطله الإسلام ونهى عنه.

يبدو جلياً أن المجتمع العربي في جاهليتهم الأولى كانوا يتطلبون معرفة الخير والشر من خلال حركات الطير أو الوحش وأصواتها وأسمائها وممرها، فيتفاءلون بأشياء منها ويتشاءمون بأشياء أخرى. هذا وقد ورد في التراث الأسطوري للعرب القدامى أنهم كانوا يتشاءمون ويتطيرون باليوم إذا نزل على دار أحدهم، قالوا: «نعي إليه نفسه أو بعض أهله» (الدميري، ١٤٢٤: ج ٥١٠/٢)، حيث يقول الصلت بن أمية في هذا المضمون لأبنائه:

هَامِي تَخْبِرُنِي بِمَا تَسْتَشْعِرُوا فَتَجْنِبُوا الشَّيْءَ وَالْمَكْرُوهَا
(المسعودي، ١٤٠٩: ٧٦/٢)

مما يجدر ذكره أن الإسلام لا يقرّ بالتطيّر والتشاؤم، بل إنّما كل الأقوال التي ذُكر فيها التشاؤم هي في الواقع نقل للشؤم من معناه الجاهلي إلى معنى إسلامي يربط الشؤم بفعل الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء/١٣). ولهذا قالوا: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (يس/١٩) ولم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل كما قالوا لرسولهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس/١٨-١٩) وتشاءم قوم صالح بصالح كما ورد في الآية ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ (النمل/٤٧) فرد عليهم نبي الله صالح عليه السلام فقال: ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ يعني أن ما حلّ بكم من شر وبلاء إنما هو بسبب كفركم وعنادكم واستكباركم، ولا يخرج عن قضاء الله وحكمته وعدله (معروف، ١٣٩٢: ١٣٦).

يتضح أن الإسلام حارب هذه العقائد الباطلة وشبهه الطيرة بالكفر والارتداد عن الإسلام وجعلها شركاً وقال الرسول ﷺ: «مَنْ رَجَعَتْهُ الطَّيْرُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَمْضِي لِحَاجَتِهِ» (المنيري، ١٤٢٤: ج ١٣٦/٢) وعنه ﷺ كذلك: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تَكُهَّنَ لَهُ» (الأبشيهي، ٢٠٠٨: ٣٥٧).

وبالتوازي مع هذا رفض الإمام على عليه السلام في «نهج البلاغة» (١٣٨٩: ٥١٩): الطَّيْرَةَ، قَائِلاً: «الْعَيْنُ حَقٌّ، وَ الرُّقْيُ حَقٌّ، وَ السَّجَرُ حَقٌّ، وَ الْفَالُ حَقٌّ، وَ الطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ...» كما أعلن رفضه الطَّيْرَةَ كذلك بقوله عليه السلام: «الْخَيْرَةُ فِي تَرْكِ الطَّيْرَةِ» (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ج ١٠٣/٧٣).

صورة اليوم في الثقافة والأدب العربي

إن من يتصفح دواوين الشعراء العرب ليجد أن العرب الجاهليين يدعون كائن اليوم بأسماء وصفات عدة، وهي: «يوم، بومة، صدى، فيّاد، هام، هامة، ضوع، أم الخراب، أم الصبيان، ويقال للبومة أيضاً غراب الليل» (الدميري، ١٤٢٤: ج ١/٢٢٦). قال الجاحظ في كتابه المعروف *بالحيوان* (١٩٦٩: ج ٢/٢٩٩) عن أسماء وصفات اليوم في العربية: «ويقال للطائر الذي يخرج من وكره بالليل البومة والصدى والهامة والضوع والوطواط والخفّاش، وغراب الليل».

وقد ذكر المسعودي (١٤٠٩: ج ٢/٧٣) معلومات مفيدة في هذا المجال، قائلاً: «فمن العرب من زعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قتل لم ينزل مطيفاً به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً، وفي ذلك قال أبو دؤاد الإيادي: سَلَطَ الطَّيْرُ وَالْمُنُونُ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ فِي صَدَى الْمَقَابِرِ هَامٌ (الإيادي، ٢٠١٠: ١٦٥)

فالمقصود من الهام، هو اليوم؛ حيث اعتقد العرب «أن هذا الطائر يسمونه (الهام) والواحدة (الهامة)، يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبدأ تتوحش وتصدع، وتوجد أبدأ في الديار المعطلة والنواويس، وحيث مصارع القتلى وأجدات الموتى. ويزعمون أن الهامة لا تزال على ذلك عند ولد الميت في محلته بفنائهم، لتعلم ما يكون بعده فتخبره به» (المسعودي، ١٤٠٩: ج ١/٢٣٠)، حتى قال الصلت بن أمية لبنيه في هذا المضمون:

هَامِي تَخْبِرُنِي بِمَا تَسْتَشْعِرُونَ فَتَجَنَّبُوا الشَّنْعَاءَ وَالْمَكْرُوهَا (المسعودي، ١٤٠٩: ج ٢/٧٦)

وفي هذا المضمون يقول توبة بن الحمير أحد عشاق العرب في ليلي الأخيلية:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ وَإِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ صَفَائِحُ لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ زَقَا

(ليلى الأخيلية، لا تا: ٢٤)

كانت العرب الجاهليون يعتقدون كذلك أن «روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره، تصير هامة، فتزقو أي تصيح عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني من دم قاتلي فإذا أخذ بثأره طارت» (المسعودي، ١٤٠٩: ج٢/٥١٠) وفي ذلك يقول شاعرهم ذو الإصبع العدواني:

يَا عَمْرُو إِنَّ لَا تَدَعَّ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي
(ذوالإصبع العدواني، ١٩٧٣: ٩٢)

وقد أكد على ذلك، لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (٤١هـ/٦٦١م):

فَلَيْسَ النَّاسُ بَعْدَكَ فِي نَفِيرٍ وَمَا هُمْ غَيْرَ أَصْدَاءٍ وَهَامٍ
(ليبيد بن ربيعة، لا تا: ٢٠٣)

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه تصير هامة، ويسمونها الصدى، وهو ذكر اليوم وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور (العسقلاني، ١٤٠٨: ١٠ / ١٥٩ - ٢٤١). وقولهم هذا يدل على أن الصدى قد ينزل إلى قبورهم ويصعد ومن ذلك ما روي عن حاتم طيء:

أَتَيْتَ لَصْحَبِكَ تَبَغِي الْقُرَى لَدَى حُقْرٍ صَدَحَتْ هَامَهَا
(المسعودي، ١٤٠٩: ١ / ٢٣٠)

وقد ذكر صاحب البدء والتاريخ أن أبا الغموص سأل الرسول ﷺ في هذا المجال

وأنشد:

أَتَخْبِرُ يَا الرَّسُولُ بَأْنَ سَنَحِيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامٍ
(الحموي، ١٤١٤: ١٤٤)

فأجابه ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» ومن ثم كان يستسقون للأموات

وأما الهند فظاهر فيهم القول برجوع أرواح موتاهم في صدورهم ويزعمون أنهم يكلمونهم ويسألون بهم وأما الفرس فأيام الفروردجان عندهم أيام رجوع الأرواح فيهيئون ألوان الطعام ويخرون المبادل بالطيب ويفرشون الرياحين ويقولون هم لا يصيبون من الطعام إلا الرائحة (المقدسي، لا تا: ج٢/١١٩؛ المزي، ١٤١٤: ج٣/٣٦١).

إن من يعن النظر في مخزون العرب الفكري والثقافي فيدرك بأنها إذا أرادت المضي

لمهم - كسفر أو حرب - مرت بمجاثم الطير - أو الأطباء - فزجرتها وأثارها لتستفيد هل تمضي أو ترجع، فإن سئحت - أي مرت عن جهة يمين السائر - تفاءل ومضى، وإن برحت -

أي مرت عن جهة يسار السائر - تشاءم ورجع (المسعودي، ١٤٠٩: ج ٢٣٣/١). إن هذه الظاهرة الموهومة الخرافية قد انعكست في أدب الجاهليين من ذلك الزمن فصاعداً، وأكثر الشعراء والأدباء الجاهليون من التشاؤم باليوم. ومن ذلك ما قاله الشاعر الجاهلي الشهير، كثير عزة:

أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مُخِيفَةً سَوَانِحُهَا تَجْرِي وَلَا أَسْتَتِيرُهَا
فَدَتِكَ - ابْنِ لَيْلَى - نَأْفَتِي حَدَثَ الرَّدَى وَرَأَكِبُهَا إِنْ كَانَ كَوْنٌ وَكُورُهَا
(كثير عزة، ١٩٧١: ٣١٦)

لا تزال هذه العقيدة الجاهلية استمرت بعد مجيء الإسلام ودخوله إلى إيران القديمة، نخص منها بالذكر: أن في زمن الأمويين عندما هجم مروان على قبيلة قيس وألحق الهزيمة بهم، أنشد عمر بن الجلي الكلبى عن الحارث بن القيسي:

بكى زفر القيسي من هلاك قومه بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكى على قتلى أصيبت براهط تجاوبه هام القفار وبومها
أبحنا حمى للحي قيس براهط وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حران تجري دموعه يرجي نزارا أن تشوب حلومها
فمت كمدا أو عش ذليلا مهضما بحسرة نفس لا تنام همومها
(الطبري، ١٣٨٧: ٤١٩/٤)

إن التطير باليوم وصفاته التي ذكرت نماذج ومظاهر منه آنفاً، كان موجوداً عند العرب فيما بعد، فلا يزال هذا التشاؤم كان مسيطراً على عقولها وبات حاداً في فترة من الزمن، بحيث عندما هجم القائد المغولي، أرسلان البساسيري على مدينة بغداد، وشاهد الناس عشرة أبوام يصرخن في كل ليلة فوق دار الخلافة، طلبوا من الخليفة القائم بالله حتى يترك بغداد، لأنهم كانوا يتشاءمون بصرخة اليوم ورؤيته (نقلاً عن روياني، ٢٠١٢: ١٥١) ويظنون أن نباح الأبوام وصرختها فوق دار الخلافة بإمكانها أن تنتج أمر الحوادث وأصعبها وهو الموت والهلاك.

صورة اليوم في الأدب الفارسي

خلافاً لما سبق في ثقافة الإيرانيين القدامى ورؤيتهم التناؤلية لطائر اليوم، إن العرب لقد اعتبرت اليوم طائراً مشؤوماً بصورة عامة ومطلقة (المسعودي، ١٤٠٩: ١٣٣/٢). وهذه النظرة التناؤمية لليوم تسربت شيئاً فشيئاً إلى الفارسية. فمن هذا المنطلق، عندما نتأمل مضامين

الأعمال الأدبية لعظماء الأدب الفارسي في كلامهم المنظوم والمنثور، لا نجد أي أثر من ذلك التقديس الزرادشتي لليوم في إيران القديمة إذ لم يبقَ شيء من أسمائه وصفاته المباركة والمقدسة لدى الإيرانيين القدماء كـ"اشورُشْت" و"مرغ بهمن" وغيرها. وعلى الرغم من أن اليوم من الطيور التي تكرر اسمه في الأدب الفارسي ونحن نواجه أسماءه الكثيرة في داووين الشعراء الإيرانيين، ولكن يتضح جلياً بأنه افتقد وجهه الإيجابي الذي كان سائداً في إيران القديمة (دولة الساسانيين) فنحن لم نعد نرى تلك الروح التفاؤلية التي كانت من المفترض أن تتواجد لدى الأدباء الإيرانيين إلا في بعض الحالات النادرة جداً وكثيراً ما نواجه صورة سلبية لوجه اليوم. إنَّ أحد أهم صفات اليوم وميزاته عند العرب، هو شؤمه الذي قد تكرر بطرق مختلفة ومتنوعة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين وفيما بعده إلى عصرنا الحاضر في الأدب الفارسي، متأثراً بالعرب الجاهليين.

بإمكاننا أن نقول إنَّ شعراء الفارسية لقد تشاءموا باليوم تشاؤماً بالغاً فتناولوه من جوانب مختلفة ومتنوعة، متأثرين بالثقافة العربية الجاهلية، نقوم بتبيين تداعياتها المختلفة، بادئين بإقامة اليوم في الأماكن الخربة:

إقامة اليوم في الأماكن الخربة المهجورة:

أحد أبرز ميزات اليوم إقامته في المنازل الخربة المهجورة التي تكررت في النصوص الأدبية والشعبية. هذه الصفة العامة المتفشية لليوم، لقد انعكست في نصوص إيران القديمة ولكن الفرس الساسانيين لم ينظر إليه من هذا المنظار السلبي الذي نراه في الثقافة العربية الجاهلية بل أنهم يحتجّون بأن إقامته هناك في الأماكن الخربة قد كانت بسبب مطاردته للشياطين والموجودات الأهرمنية عن الصحاري والدفاع عن حقوق الإنسان. يجدر بالذكر أنَّ الصحراء قبل الإسلام، قد اتّسمت بالعديد من الدلالات حسب القصص الواردة في الكتب المقدسة. فقد اتخذت صورة الفضاء الملعون حيث يعيش فيها الشيطان، "عزازيل" كما تذكره النسخة السريانية للكتاب المقدس؛ وكان قدماء العبريون والكنعانيون يعتقدون أنَّ الصحراء مثوى عزازيل، شيطان الأراضي الجذباء (عثمان بلميلود، ٢٠٠٣: ٥٨). إذن فإقامة اليوم في الصحراء، وفقاً لما ورد في المصادر الفارسية البهلوية، كانت لأجل مطاردته للشياطين. على أية

الحال، لم يعد يلحظ في الأدب الفارسي الراهن تلك الروح التفاضلية التي كانت سائدة تجاه اليوم في أيام الإمبراطورية الساسانية. بل نرى أنّ غالبية الشعراء الفرس القدامى والمعاصرين قد تطرقوا إلى نحوسة هذا الطائر وإقامته في المنازل الخربة متأثرين بالعرب الجاهليين ومعتقداتهم الفكرية والثقافية. على سبيل المثال، جاء في ديوان سنائي الغزنوي:

باز را دست ملوك از همت عالی است جای جغد را بوم خراب از طبع دون شد مستكن

(سنائي، ١٣٦٥: ٥٢٩)

(الترجمة: احتلت الصقور مكانة عالية على أيدي الملوك بسبب قوتها وأنانيتها، ولكن البوم قد سكن في منازل خربة بسبب طبيعته السافلة)

نلاحظ أن إقامة البوم في الخرابة تربط بطبيعته الدنيئة، وفقاً لما أكد عليه الشاعر الإيراني، سنائي الغزنوي.

يستوضح الكثير من النصوص الأدبية الفارسية أنّ إقامة البوم في الخرابة نسبت إلى رعاية البوم وحمايته من أعظم الكنوز وأثمنها مكنونة في جوف تلك المنازل المهجورة الخربة؛ ومنها ما ذكره أستاذ الشعر الفارسي المثنوي الرومانتيكي، نظامي الكنجوي في هذا المضمون، قائلاً:

جغد كه شوم است به افسانه در ببل گنج است به ويرانه در

(نظامي، ١٣٦٣: ٥١)

(الترجمة: إنّ البوم الذي هو شرير ومنحوس في الأسطورة، أصبح عندليب الكنز في الأراضي الخربة والمدمرة)

وفقاً لما جاء في منظومة منطق الطير للشاعر الإيراني، العطار النيسابوري، أحد أهم الطيور التي امتعت عن الذهاب إلى العنقاء (سيمرغ) تحمل اسم «كوف» وهو من أسماء البوم في الفارسية. من هذا المنطلق، من يتصفح ديوان العطار يجد كلاماً دقيقاً عن البوم وهو أنّ الشاعر يذكر أنّ حبّ البوم للخزائن الخفية في جدران المنازل الخربة مانع رئيسي في طريق ذهابه إلى العنقاء والوصول إليها، قائلاً:

١. در خرابي جاي مي سازم به رنج زانك باشد در خرابي جاي گنج

٢. عشق گنجم در خرابي ره نمود سوي گنجم جز خرابي ره نبود

(عطار نيشابوري، ١٣٧٣: ٦٤)

(الترجمة: ١. أنا أبني منزلي في المنازل الخربة مع معاناة كثيرة؛ لأنّ هناك كنوز مدفونة تحت الخرابة والأماكن المتعدمة. ٢. حبيّ للكنز دفعني إلى الخراب؛ فلم يكن لدى أي طريق للوصول إلى الكنز سوى مرور بالمنازل الخربة)

إنّ ما يستعرضه هذا البيت هو أنّ طائر البوم يعتبر رمزاً لأناس يطلبون الحياة الدنيا المادية في هذه القصة الروائية، حيث يمنعهم حبّ الدنيا من الحركة والاستنهاض إلى الله تعالى. وأيضاً من كلام الشعراء الفرس الذي ذكر في مضمار التشاؤم باليوم وإقامته في الأماكن الخربة والأرياف النائية الغير مأهولة بالسكان هو كلام حبّ وغزل للحبيب الروحاني في القصيدة المعنونة ب: «نگارا مردگان از جان چه دانند؟» للشاعر جلال الدين محمد البلخي الشهير بالمولوي، حيث يشبه فيه الغرباء بالأبوام التي اعتبرها الشاعر رموزاً لمحبي الدنيا المادية، مخاطباً حبيبه بأوصاف روحانية صافية أضفت على شعره سمة من قداسة لا نظير لها، حيث يقول:

- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ١. نگارا مردگان از جان چه دانند | كلاغان قدر تابستان چه دانند |
| ٢. بر بیگانگان تا چند باشی | بیا جان قدر تو ایشان چه دانند |
| ٣. پوشان قد خوبت را از ایشان | که کوران سرو در بستان چه دانند |
| ٤. بهل ویرانه بر جفدان منکر | که جفدان شهر آبادان چه دانند |
| ٥. چه دانند ملک دل را تن پرستان | گدایان طبع سلطانان چه دانند |

(مولوي، ١٣٧٠: ٢٨٤/١)

(الترجمة: ١. حبيبي الجميل! إنّ الموتى لا يدركون معنى الروح والحياة، شأنهم شأن الغربان التي لا تعرف قيمة الصيف. ٢. لماذا تقيم بين الأجانب، تعال روحي! إنهم لا يدرون مقامك وشأنك. ٣. أستر قامتك الجميلة منهم؛ إذ إنّ العميان غير بصيرين بقيمة شجرة الصنوبر في البستان. ٤. اترك المنازل الخربة للأبوام لأنها لا تعرف قيمة المدن المعمورة. ٥. إنّ الخاضعين لهوهم وميولهم النفسانية كيف يتمكنون من فهم سر قلوب العارفين كما أنّ الفقراء غير مدركين كنه أحوال السلاطين).

من الملاحظ أنّ الشاعر يستعطف حبيبه ويستدعيه أن يحلّ بأرض قلبه المعمورة؛ إذ يرى أنّه الشخص الوحيد الذي يعرف قدر محبوبه وشأنه العظيم؛ ولكن الغرباء والأموات الذين شبههم الشاعر بالأبوام العمياء، لا يدركون منزلة الحبيب وشأنه. يمكن القول إنّ الأبوام ههنا تعتبر رمزاً لمحبيّ الدنيا والذين حبسوا أنفسهم في إطار هذه الدنيا المادية حيث لا

يعرفون قيمة الحياة الروحانية والأسرار الإلهية.

بالتوازي مع هذا المضمون لقد أنشد صائب التبريزي (١٠٠٠-١٠٨٠ الهجري) في غزله العرفاني المرقم بالرقم: «٢٦٣٤» قصيدة شكها فيها من حلول الروح السماوية في ضيقة الجسد مشبها إياها بالطائر الموضوع في القفص الذي لا خلاص له منه إلا بالخروج عن هذا القفص ومن ثم التحليق في سماء الحرية، قائلًا:

١. روح را در تنگنای جسم کی شادی بود؟ مرغ دام افتاده را شادی در آزادی بود
٢. راحت منزل نگردهد سنگ راهش همچو سیل شوق هر کس را که در راه طلب هادی بود...
٣. فکر عقبی نیست صائب در دل دنی پرست جغد را وی سران گواراتر ز آبادی بود

(صائب تبريزي، ١٣٨٧: ٢٣٤)

(الترجمة: متى تفرح الروح في إطار هذا الجسم؟ إن الروح تشبه الدجاجة العالقة في أحبولة الصياد والتي لا يسرها شيء إلا الخروج منها ونيل الحرية. ٢. إن من لديه شغف الوصل بالهادي الأعلى لا يستقر في مكانه بل يتنقل من مكان إلى آخر كالحجر الذي وقع في مسار السيل والفيضان. ٣. يا صائب، إن الإنسان الذي انغمس في الشؤون الدنيوية التافهة لا يفكر في عقباه كما أن بقايا الخراب والدمار عند اليوم ألد وأحلى من العمران والمدنية).

يتضح أن الشاعر ههنا شبه نفسه بالذين يحاولون اللحاق بمحبيهم العزلي والحقيقي بسلوحياتهم العرفانية؛ إلى حيث يشبه طالبي الدنيا بالأبوام التي تحلو عندها المنازل الخربة المهجورة التي لا يرتادها الإنسان. يبدو جليا أن الشاعر يقصد بهذا التشبيه إظهار تشاؤمه من الأبوام والذين يتوخون الحياة الدنيوية.

وقد ذكر نورالدين عبدالرحمن جامي في كتابه المسمى بـ«هفت اورنگ» عدالة «كسرى انوشروان الفارسي» مادحا عمران دولته التي باتت رمزا للازدهار المدني والرقى الحضاري؛ إلى حيث تشكو الأبوام من انعدام الخرائب أو الأطلال أو الأحياء الموحشة المخيفة المرعبة في أرجاء بلاده للسكن والاقامة فيها، قائلًا:

١. كه ز معماری عدلت به جهان نیست ویرانه نه پیدانه نهان
٢. خشت بر خشت زمین معمور است از وی آثار خرابی دور است
٣. جغد در کشور تو هست به رنج كه خرابی شده نیاب چو گنج

(جامي، ١٣٨٥: ١١٣)

(الترجمة: ١. لا يوجد أي أنقاض وأطلال جليّة كانت أم خفيّة في العالم بسبب عدالتك المنتشرة. ٢. باتت أرض بلدك معمورة راقية كلها وبعدت آثار الدمار عن بلدك كل البعد. ٣. تعاني الأبوام في بلدك من فقدان الدمار؛ إذ لا أثر للأطلال والأماكن الخربة؛ فأصبحت هذه البيوت الخربة في بلدك نادرة كالكنوز الدفينة في الأرض ولا يمكن العثور عليها بسهولة).

لا يفوتنا هنا أن نذكر أنه رغم ما يرسمه الشعراء والأدباء في كل من الأدبين: الفارسيّ والعربي من صور التشاؤم باليوم؛ فإنّ النبيّ سليمان (ع) يعتبر اليوم أنصح الطيور بأسرها لابن آدم إذ إنّه يشفق عليه رغم أنّه يسكن في البيوت الخربة المهجورة التي لا إنس فيها، حيث يقول (ع): «ليس في الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال أبغض منها» (الدميري، ١٤٢٤: ٥١١/٢).

شؤمه ونحوسته:

إنّ موضوع التشاؤم باليوم لم يكن موجوداً وشائعاً في إيران القديمة في الغالب الأعمّ ولكن قد ألقى ظلّه على الأدب الفارسي متأثراً بثقافة العرب الجاهليين منذ سقوط دولة الأكاسرة الساسانيين، بحيث ظهرت تداعيات هذا التشاؤم ومظاهره في الأدب الفارسي بأساليب مختلفة ومتنوعة، فتركت نتائج سلبية على الشعراء الفرس القدامى والمعاصرين، والدارس للأدب الفارسي يعرف مدى تأثر شعراء الفرس العظام كالمولوي، وسعدي الشيرازي، والفردوسي، وناصرخسرو وغيرهم بالثقافة العربية في مجال التشاؤم باليوم. فعندما نعمن مثلاً في ديوان المولوي المسمّى *بديوان الشمس التبريزي* ندرك بأنّه يعرف اليوم رمزاً للتشاؤم والتطير محتجاً بأنّ ممدوحه يشبه اليوم في شؤمه ونحوسته؛ لأنّه لو لم يكن هذا الممدوح نحساً وشؤماً كاليوم لكانت تتساقط الأمطار من السماء لأهالي المدينة:

نم نبارد ابراز شومي او شهر شد ويرانه از بومي او

(مولوي، ١٣٧٠: ٧١٩)

(الترجمة: لا تمطر السماء قطرة ماء بسبب شؤمه؛ لقد انهارت المدينة من يومئذ أي نحوسته).
جدير بالذكر والتنويه أنّ الكثير من الشعراء والكُتاب يشبهون الكوارث والأعمال السيئة في تشاؤمهم منها بالأبوام وهذه المقارنة تؤدي إلى انتقال رؤيتهم التشاؤمية لليوم إلى المتلقّي ويؤثر عليه تأثيراً سلبياً في الغالب الأعمّ.

في المضمار نفسه، يتحدث صائب التبريزي عن اليوم في شعره ويسمّيه طائراً مشؤوماً

حل بيت قلبه المهدم، قائلاً:

دل نازك به زبان بازي مژگان چه كند؟ سپر آبله با خار مغيلان چه كند؟
بیش ازین با من سودازده دوران چه كند؟ شومی جغد به این خانه ویران چه كند؟

(صائب تبریزی، ۱۳۸۷: ۳۳۴)

(الترجمة: ماذا بوسع القلب الرقيق أمام مدهانة الرموش؟، وماذا يستطيع أن تفعل أدران الجدرى تجاه أشواك شجرة مغيلان؟. ماذا سيفعل بي الدهر أكثر من هذا؟، وما مدى تأثير نحوسة البوم في هذا البيت المدمر؟).

محمد تقی بهار المشهور بملك الشعراء وشاعر الحرية والوطن (۱۲۶۵ش)، كذلك يتشام باليوم ويعتقد بأن الأبوام لا تستحق الإقامة في البستان معتبراً إياها رموزاً للاحتيال والخدعة والخطأ، ويذهب بعيداً ويرمز بها إلى فئة سياسية مسمّاة بـ«رابطة همت» وهي تيار سياسي واجتماعي أعلنت هدفها الحماية عن حقوق الإنسان واستكمال قواعد الخدمة والعبودية، منتقدا إياهم لتصرفاتهم السياسية المزورة التي جلبت الذلة والمهانة للبلاد، قائلًا:

۱. انجمن كرده نند زاغ وزعن باز بر شاخسار حيله و فن
۲. شد زيغوله بوم جانب باغ شد ز ویرانه جغد سوی چمن
۳. زان چمن كاشيان جغدان شد به كه بلبل برون برد مسكن

(بهار، ۱۳۷۸: ۲۲۶)

(الترجمة: ۱. اجتمع الغراب والغداف مرة أخرى على أغصان شجرة الحيلة والخدعة. ۲. خرج البوم من زاوية البيوت المدمرة إلى الحديقة وتوجه من الأطلال نحو الحشيش الأخضر. ۳. من الأفضل للعندليب أن يخرج من ذلك العشب الأخضر لما استوطن البوم فيه).

لقد ذكر سنائي الغزنوي كذلك كائن البوم في الباب الثامن من كتابه المعنون بـ"حديقة الحقيقة وشريعة الطريقه" وتشاءم منه واصفاً نحوسته وحساده وقلته تدييره، قائلًا:

۱. در مشورت نیافت كس مقصود از دو بی اصل سست رای و حسود
۲. زانكه در ملك از این دو ناهشیار كرس و جغد را بر آید كار...
۳. پیشكار ملوك بی تدبیر جغد باشد میان خلق خفیر

(سنائي، ۱۳۶۸: ۵۷۹)

(ترجمه: ۱. لم يصل أحد إلى غرضه المنشود عندما استشار هذين الحسودين الذين لم ينحدرا من أصل شريف. ۲. هناك في بلاد هذين الحمقى بإمكان البوم والنسر أن يقوموا بأمر

بلادهما عوضاً عنهما. ٣. كأنَّ خادم هؤلاء الملوك العديمي الخبرة والحكمة في إدارة البلاد بومٌ خائفٌ في حشد خفير من الناس).

ينتقد الشاعر من قلة الكفاءات اللازمة لهذين المملكين في إدارتهما للدولة والمجتمع ويؤكد على أن تولي الحكومة والإشراف عليها بحاجة ماسة إلى العلم والعقل والبصيرة؛ ولكن الملك ووزيره الحسودين غير متمتعين بالعقل والبصيرة، فمن هذا المنطلق، نراه في قصيدته يشبههما بالأبوام والنسور لسوء تديرهما في إدارة أقاليم البلاد والقيام بأمر الدولة.

هناك في النصوص الأدبية ذات النزعة القصصية كتابان هاما اختصت أجزاء وفصول منهما بدراسة كائن اليوم وصفاته الخاصة، أحدهما كتاب *مرزبان نامه* الذي تحدث عن طائر البوم في بعض فصوله. منها ما ورد في قصة "آزادشهر والعقاب"، حيث ذكر الكاتب البوم واعتبره طائراً مشؤوماً (وراويني، ١٣٦٦: ٣٩٥ و٧١٥).

الكتاب الآخر هو *الكليلة والدمنة* الذي توجد فيه لمحات من ثقافة إيران القديمة، واختص المؤلف فيه باباً تحت عنوان: «الأبوم والغربان». وقد أظهرت هذه القصة الشهيرة أن الغربان أكثر ذكاءً من البوم؛ بحيث رويت فيها أن الطيور انتخبت البوم كمرشد وقائد لأنفسها في الغابة ولكنَّ الغراب لوحده يخالفها في هذا الرأي والانتخاب، محتجاً بأن طائر البوم أقبج الطيور منظرًا، وأسوأها خلقًا، وأقلها عقلًا، وأشدّها غضبًا وأبعدها من كلِّ رحمة مع عميه وما به من العشا بالنهار (ابن المقفع، ١٣٥٥: ج١/٢٠٦).

شكل البوم وصوته المزعج والحزين:

لقد جاء في معظم "المعاجم اللغوية" أن البوم طائر يكثر ظهوره بالليل ويسكن الخراب، ويضرب به المثل في الشؤم وقبح الصورة والصوت. فلم تر العرب في البوم إلا رمزاً للخراب ونذيراً بالشؤم، فهم لم ينظروا لأبعد ممّا يظهر لهم. فهذا كائن ليلي، وحشي الطبع، يصدر أصواتاً مخيفة، فإنه بالتالي رمز لشرارة والنكبة. يذكر شهاب الدين الأبيشي في كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» (الأبيشي، ٢٠٠٨: ٢٢٧) ما يلي: «بومة: وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل أفراخه... ونقل المسعودي عن الجاحظ: أن البومة لا تخرج بالنهار خوفاً من العين، لأنها تظن أنها حسناء وهي أصناف وكلها تحبّ الخلوة بنفسها».

لقد ورد في الثقافة العربية البوم رمزاً للخراب والهلاك والموت بصورة مطلقة؛ لأنه يميل من ناحية إلى الصمت ومن ناحية أخرى إلى التواجد في الأماكن المهجورة بصوته المزعج

والحزين. فمن هذا المنطلق، ألقى هذا التشاؤم أضواءه على الشعراء الفرس كذلك. ومن هذا التشاؤم المأخوذ من العرب ما نراه عند الشاعر الإيراني خاقاني الشرواني (٥٩٥-٥٢٠هـ)، وهو الشاعر الذي تأثر كثيراً بثقافة العرب، لعلاقته الوثيقة بثقافتها وأفكارها. فمن هنا نجد أنّ التشاؤم باليوم وصوته الباكي لقد ورد في أشعاره بأشكال مختلفة. ويتضح جلياً هذه الرؤية التشاؤمية الغالبة تجاه كائن اليوم لديه، عندما يصف إيوان المدائن (بالفارسية: إيوان خسرو) كما يعرف محلياً، هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى أنوشروان، حيث يقول:

چون مرا طوطي جان از قفس کام پريد نوحه جغد کنيد ارچه هماييد همه

(خاقاني، ١٣٧٥: ٥٧٠)

(الترجمة: لما متُّ والتحقت إلى رفيقي الأعلى، ابكولي بكاءَ اليوم وإن كنتم ذوي الفأل الحسن).

من الملاحظ أنّ صورة اليوم وهيئته تختلف تماماً عن بقية الطيور وقد أصبح هذا الطير بمواصفاتها العجيبة ذريعة للتشاؤم والتطير منذ العصور الغابرة، لا يمكن تعريف جذورها بالضبط خلال الموروث الثقافي والنفسي لدى عامة الناس التي تتشائم من مظهر اليوم ولاسيماً بمنقاره. هذه الأفكار المقتبسة الموهومة انعكست في الأدب الفارسي، حيث نلاحظ أكثر الشعراء والأدباء الإيرانيين يأنفون من صورة اليوم. فمن هذا المنطلق، نرى الشاعرة المعاصرة الإيرانية، بروين اعتصامي (١٢٨٥-١٣٢٠) قد وصفت اليوم بأنه قبيح المنظر والشكل، قائلة:

١. زاغي بطرف باغ، به طاووس طعنه زد كاین مرغ زشت روی، چه خودخواه و خودنماست

٢. نوکش، چون نوک بوم سیه کار، منحنی است پشت سرش برآمده وگردنش دوتاست

(اعتصامي، ١٣٨٥: ٢٤٢)

(الترجمة: ١. تهكم غرابٌ بالطاووس في زاوية من الحديقة، قائلاً: هذا الطير القبيح الوجه، ما أشدَّ أنانيته وعنجهيته. ٢. هناك انحناءٌ في منقاره كمنقار اليوم السوداويّ العمل، محدودبٌ رأسه مُنحَنٍ عنقه).

وفي موضع آخر، قد ركّزت الشاعرة نفسها مرة أخرى على صرخة اليوم المزعجة وتشاءمت منها، إلى حيث تقول:

خوش است نغمه مرغی به ساحت چمنی ولی نه بوم سیه روز، مرغکی خوشخوان

(اعتصامي، ١٣٨٥: ١٣٥)

(الترجمة: ما أذ صوت طيرٍ غير اليوم السوداويّ اليوم على الحشيش الأخضر).

وبالتوازي مع هذا المعنى، يقول ميرزا محمد تقي بهار، الشهير بـ"ملك الشعراء"
(١٢٦٣ش) في قصيدة يسميها بـ"يوم الحرب"، ناشداً:

١. فغان ز جغد جنگ و مُرغواي او كه تا ابد بريده باد ناي او
٢. بريده باد ناي او و تا ابد گسسته و شكسته پرو پاي او

(بهار، ١٣٧٨ش: ٢١٤)

(الترجمة: الويل من يوم الحرب وتشاؤمه، قطع الله حنجرته إلى الأبد. ٢. إلى الأبد قطع الله
حنجرته، أتمنى أن ينفصل ريشه وينكسر قدماه).

إنّ "ملك الشعراء" الذي اشتهر في ثقافة الفرس بشاعر الحرية والوطن، شبه الحرب
وتداعياتها السلبية من تخريب المدن والقتل والهلاك باليوم واحتج بأن الحرب تخلف آثارا
مشؤمة؛ فلذلك استعار الشاعر المستعار منه يوماً في هذا التشبيه ليؤكد على مدى تشاؤمه
من اليوم ولاسيما صوته المزعج.

صورة اليوم في الأمثال الأدبية والشعبية:

تعدّ الأمثال من الأشكال الأدبية التي تعبّر عن الواقع تعبيراً صادقاً؛ لأنها تعدّ نتاج فكر
وأحداث وتجارب للحياة اليومية، ولعلّ من أهمّ السمات التي تتسم بها الأمثال صفة الذبوع
والسيرورة، وهذا الأمر بات من الأسباب الرئيسة التي ساعدت تفشي التشاؤم باليوم بين
الشعراء الفرس وكتابهم. ومن الملفت للنظر أنّ الأمثال العربية التي تدلّ على التشاؤم باليوم
في مصادر الأدب المختلفة، كثيرة. منها ما أورده الثعالبي في كتابه "ثمار القلوب"، قائلاً: "إنّ
اليوم يُضرب به المثل في الشؤم والنكد واللؤم (١٩٨٣: ١٠٤/١)؛ لأنّه يأوي الخراب ولا يأنس
بأشكاله من ذوات الأجنحة. ومنها ما ورد في الأمثال الشعبية: «لو كان في البومة خير ما
تركها الصياد» (طه، ١٩٩٩: ١٤٢-١٤١). وكذلك منها قول لابن الجوزي في الفصل الخامس
والثمانين من كتابه /مدهش، قائلاً: «من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب» (١٩٨٥:
ج١/٤٧١)؛ ويضرب هذا المثل لمن يقتدي بالمشؤم الفاسد الرأي، وهو مثل قديم أورده الراغب
الإصفهاني كذلك في محاضراته، بمعناه الحريف: «من كان دليله اليوم كان مأواه الخراب»
(١٤٢٠: ج٢/٧٥٤). إنّ الأمثال المذكورة تقرر أنّ القائد الجاهل والدليل الغبيّ يؤديان بمن
يتبعهما إلى مزالق خاطئة ودروب غامضة. وهي بذلك إنما تدعو بشكل غير مباشر إلى
ضرورة عدم ترك الأمور بأيدي قائد غير قدير (الفؤادي، لا تا: ٤٣).

وفي هذا المعنى، ذكر الشاعر الفارسي الحكيم ناصر خسرو القبادياني، ما يشابه هذا المثل العربي في اللغة الفارسية، حيث قال:

هر آن كس كه باشد راهبر بوم نيند جز كه ويراني بر و بوم
(القبادياني، ١٣٧٨: ٤٥٩)

(الترجمة: من كان دليله اليوم لا يواجه سوى الدمار وتدمير الوطن).

منها ما جاء في ديوان نظامي كنجوي، حيث أصبح الشطر الثاني من بيته مثلاً سائراً بين الإيرانيين:

همان به كودر آن وادي نشيند كه جغد آن به كه آبادي نيند
(نظامي، ١٣٩٠: ١٢٠)

(الترجمة: يجدر باليوم أن يهبط في ذلك الوادي النائي؛ لأنه من الأفضل له ألا يرى العمران).

وفقاً لما قيل، عندما نقارن بين الأمثال الفارسية والعربية نستنتج أن الشعراء الفرس لقد ذكروا ما يشابه الأمثال الأدبية العربية في المعنى والمضمون في مجال التشاؤم باليوم واستعملوه في أشعارهم مراراً.

النتائج

لقد تمخّض هذا المقال عن نتائج أهمّها كالتالي:

١. إنَّ اليوم قد كان طائراً ميموناً ومباركاً لدى الإيرانيين القدامى، بحيث كانوا ينسبونوه إلى الإيزدان والآلهات المقدّسة، ونسبوا إقامته في الأماكن الخربة إلى طرده للشياطين والأجنة وإبعادها عن هذه الأمكنة والمنازل. إنهم كانوا يتفاءلون برؤيته ويعتبرون هذه الرؤية فاتحة للخير والصواب اللهم إلا نوعاً واحداً منه، وهو أكبر الأبوام كلّها يسمّى بالفارسية: "بوف" أو "شاه بوم".

٢. إنَّ العرب كانت تعتبر اليوم بجميع أنواعه مشؤوماً بصورة عامة ومطلقة؛ إذ رأت في ميل هذا الطائر للانعزال وإقامته في المنازل الخربة توحشاً، كما رأت في مظهره ما يدعوا للخوف وللشؤم؛ فاستخدمته رمزاً للموت والخراب والهلاك مطلقاً.

٣. إنَّ التشاؤم باليوم بات أحد الصور الشعرية في الأدب الفارسي بعد سقوط الدولة الساسانية، وذلك إثر إمتزاجه بالثقافة العربية، بحيث افتقد وجهه الإيجابي وروحه

التفاضلية في الأدب الفارسي، ولم يبقَ شيء من أسمائه وصفاته المباركة والمقدسة التي كانت موجودة لدى الإيرانيين القدماء كـ"اشوزُشت" و"مرغ بهمن" وغيرها. بل كثيراً ما نواجه صورة سلبية لوجه البوم تماماً.

٤. من خلال تصفح دواوين الشعراء الفرس ندرك ارتباطاً وثيقاً بين البوم والموت، والهلاك، وسماع الأخبار السيئة. وقد عبر الشعراء في قصائدهم عن تشاؤمهم بهذا الطائر وعن كرههم له، ولصوته، ولهيئته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأبخشي، شهاب الدين (٢٠٠٨م). المستطرف من كل فن مستظرف. شرحها وحققها مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢. ابن أبي الحديد. نهج البلاغة. ترجمه محمد دشتي، قم: مؤسسة بوستان كتاب.
٣. ابن أبي الحديد (١٤٠٤هـ). شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة المرعشي النجفي.
٤. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (١٩٨٥م). المدهش. تحقيق مروان قباني، بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. اعتصامي، پروين (١٣٨٥ش). ديوان. تبريز: انتشارات آيدين.
٦. الأنصاري، جمال الدين عبد الله (لا تا). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. الإيادي، أبي دواد (٢٠١٠م). الديوان. تجميع وتحقيق: أنوار محمود الصالحي، وأحمد هاشم السامرائي، دمشق: دار العصماء.
٨. البطاوي، رضا (٢٠٠٨م). التناؤل والتشاؤم في الإسلام. مجلة الفرقان: <https://www.al-forqan.net/members-articles/235.html>
٩. البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٩٧م). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، عدد الأجزاء: ١٣.
١٠. بلميلود، عثمان (٢٠٠٢م). صورة الصحراء العربية في المخيال قبل ظهور الإسلام. مجلة انسانيات، العدد ٢١، سبتمبر، صص ٥٥-٦٢.
١١. بهار، محمد تقي (١٣٧٨ش). مرغ سحر (منتخب اشعار). تهران: سخن.
١٢. الثعالبي، أبو منصور (١٩٨٣م). بتيمة الدهر. تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٣. الجاحظ، عمر بن بحر (١٩٦٩م). الحيوان. تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٤. جامي، نورالدين عبدالرحمان بن احمد (١٣٨٥ش). مثنوي هفت اورنگ، به تصحيح و مقدمه مرتضى مدرس گيلاني، طهران: اهورا.
١٥. الحموي، ياقوت (١٤١٤هـ). معجم الأدباء. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٦. خاقاني شرواني، افضل الدين بديل بن علي (١٣٧٥ش). ديوان. باهتمام: ميرجلال الدين كزّازي، طهران: مركز.
١٧. الخطيب، حسام (١٩٩٢م). آفاق الأدب المقارن عربياً وعالمياً. دمشق: دارالفكر.
١٨. الدميري، كمال الدين أبو البقاء (١٤٢٤هـ). حياة الحيوان الكبرى. تحقيق أحمد حسن بسج، بيروت: دارالكتب العلمية.
١٩. ذوالإصبع العدواني، حرثان بن محرث (١٩٧٣م)، الديوان، جمعه وحققه عبدالوهاب محمدعلي العدواني وممد نائف الدليمي، وخط أشعاره يوسف ذنور، الموصل: مطبعة الجمهور.
٢٠. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (١٤٢٠هـ). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. بيروت: شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام.
٢١. روياني، وحيد (٢٠١٢م). بررسي تطبيقي جاينگاه جغد در ادبيات فارسي و عربي. مجلة الدراسات الأدبية، العدد ٧٩، ٨٠ و ٨١، صيف وخريف وشتاء، صص ١٥٠-١٦٦.
٢٢. سنائي غزنوي، ابو المجد مجدود بن آدم (١٣٦٨ش). حديقة الحقيقة وطريقة الشريعة، تصحيح مرحوم مدرس رضوي. ط ٢، تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
٢٣. صائب تبريزي، ميرزا محمد علي (١٣٨٧ش). ديوان اشعار. طهران: شركت انتشارات علمي وفرهنگي.
٢٤. الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧هـ). تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك. وصلة تاريخ الطبري، ط ٢، بيروت: دار التراث.
٢٥. طه، جمانة (١٩٩٩م). موسوعة الأمثال الشعبية العربية. الرياض: الدار الوطنية الجديدة.
٢٦. العامري، لييد بن ربيعة (لا تا). الديوان، بيروت: دار صادر.
٢٧. عبد الله ابن المقفع (١٩٩٠م). كليله ودمنة. باب اليوم والغربان، حققه وقدمه: محمد أمين فرشوخ، بيروت: دار الفكر العربي.
٢٨. عبود، عبده (١٩٩٩م). الأدب المقارن، مشكلات وآفاق. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٢٩. العلامة المجلسي (لا تا). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٥٥، بيروت: مؤسسة الوفاء.
٣٠. فرنينغ دادگي (١٣٩٥ش). بندهش. ترجمة: مهرداد بهار، ط ٢، طهران: توس.
٣١. الفؤادي، عبدالهادي (لا تا). بحث في الأمثال العراقية، القسم الثاني.
٣٢. قبادياني، ناصر خسرو (١٣٧٨ش). ديوان. باهتمام: مجتبي مينيوي، طهران: سيماي دانش.
٣٣. كثير عزة (١٩٧١م)، الديوان. تجميع وشرح: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.

٣٤. گرمال، پير (١٣٧٨ش). *فرهنگ اساطير يونان و روم*. ترجمة: احمد بهمنش، ط ٤، طهران: اميركبير.
٣٥. ليلي الإخيلية (لا تا). *الديوان*. تجميع وتحقيق: خليل إبراهيم العطية؛ وجيل العطية، بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد.
٣٦. المزي، يوسف بن عبدالحمن (١٤١٤هـ). *فهارس تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف*. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
٣٧. المسعودي، أبو الحسن على (١٤٠٩هـ). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. تحقيق: اسعد داغر، عدد الأجزاء: ٤، ط ٢، قم: دار الهجرة.
٣٨. معروف، يحيى (١٣٩٢هـ). «دراسة نقدية لدوافع التشاؤم بالغراب بين الفارسية والعربية». *مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)*، العدد ١٠، السنة ٣، صص ١٣٣-١٥٣.
٣٩. المقدسي، طاهر بن مطهر (لا تا). *البدء والتاريخ (المنسوب له)*. ج ٢، مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
٤٠. ملكاوي، دينا (٢٠١٨م). *النثر الخيالي في الأندلس*. عمان: دار الثقافة.
٤١. منشي، نصرالله (١٣٧٧ش). *كليله ودمنه*. تصحيح مجتبي مينيوي، طهران: جامعة طهران.
٤٢. مولوي، جلال الدين محمد (١٣٧٠ش). *كليات ديوان*. وفق نسخة مصححة لبدیع الزمان فروزانفر، تهران: سيمای دانش.
٤٣. نظامي گنجوي، الياس (١٣٦٣ش). *مخزن الأسرار*. تصحيح "بهروز ثروتیان، طهران: انتشارات توس.
٤٤. نظامي گنجوي، الياس (١٣٩٠ش). *خمسه نظامي*. ط ٣، طهران: هرمس.
٤٥. النميري، حسن (٢٠٠٨م). *دنيا الحيوان في التراث العربي*. دمشق: الهيئة العامة للكتاب.
٤٦. عطار نيشابوري، فريدالدين ابو حامد (١٣٧٣ش). *منطق الطير*. باهتمام: محمد جواد مشكور، طهران: انتشارات تهران.
٤٧. وراويني، سعدالدين (١٣٦٦ش). *مرزبان نامه*. باهتمام: خليل خطيب رهبر، طهران: صفي علي شاه.
٤٨. هلال، محمد غنيمي (١٩٧٨م). *الأدب المقارن*. بيروت: دار العودة.